﴿ من المؤمنين رجال ﴾

(١٥)

زيد بن صوحان

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

٩١
٤٢
ة
لام
٣

زيد بن صوحان

المطبعة العربية / بيروت

١٤١٥هـ-١٩٩٥م

﴿ من المؤمنين رجال ﴾

(١٥)

زيد بن صوحان

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ صدق الله العظيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم انبيائه محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعـــد:

هذه صفحات متواضعة تُعنى بالحديث عن فارس كريم من فرسان العقيدة ، وجندي شجاع من جنود الحق ، وفتى أصيل من فتيان بني عبدالقيس ، كان من أولياء اللّه المخلصين ، ومن صحب رسول اللّه (ص) الأُمناء الصادقين ، ومن طلائع الجهاد في ساحات الوغى ضد الكافرين والناكثين والمنحرفين.

وما أشدّ حاجة العرب خاصّةً ؛ والمسلمين عامّةً ؛ في ظروفهم الحاضرة ، وقد تكالبت عليهم قوى الجور والضلال والعدوان ، فبطشت بهم في أكثر من مكان ، وهَزَمَتْهم في أكثر من جولةٍ وميدان ، ومازالت في نهم الى المزيد من الوقيعة بهم والتسلُّط عليهم وامتصاص ما حباهم اللّه تعالى به من نِعَم الأرض وبركات السماء.

أقول: ما أشدّ حاجة هؤلاء اليوم ؛ وحاجة أجيالهم الناشئة بالخصوص ، الى وقفة ذكيّة فاحصة ، بل عودة متفتّحة واعية ، الى دراسة التاريخ بعمق ، واستلهام التراث بتدبّر ، والتفاعل مع الماضي المشرق بفهم وقدرة على الفرز والتمييز ، لتقتبس من كل ذلك ما يُعينها على صنع الغد المنتظر المنشود ، الذي لا يهدّد أمنَه طامع ، ولا يدنّس ترابَه معتدٍ أثيم ، ولا يقف أمام زحفه الحضاريّ الخلّاق مُشرّقٌ أو مُغرِّب.

وليس من مجال لذلك الدرس والاستلهام والتفاعل أفضل من معرفة سير اولئك الروّاد الأفذاذ الذين آمنوا باللّه فاطمأنّت قلوبهم ، وعاهدوا على الفداء والوفاء فصدقوا في عهودهم ، وبذلوا الجهود المضنية والدماء الزكية تحت لواء الحق والمبادئ ، ليجعلوا كلمة اللّه هي العليا ، وراية القرآن هي الخفّاقة ، وصوت العقيدة هو الصوت المدوّي في أرجاء الأرض ؛ كلِّ الأرض.

وكان زيد بن صُوحان العبديّ - وهو محور الحديث في هذا الكتاب - أحد هؤلاء الرجال الصناديد والأبطال المساعير ، ممن آمن باللّه تعالى بقلبه ولبّه ، واعتنق الاسلام بصدقٍ واخلاص ، وجاهد في سبيل الحق غير متوانٍ ولا متخاذل ، حتى ختم اللّه له بالسعادة ، وكتب له الشهادة ، فذهب الى ربه راضيّاً مرضياً ينعم بخلود الحياة وحياة

لخلود ، مع الأنبياء والصّدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسُن اولئك رفيقا.

وكلُّ أملي أن تكون هذه الصفحات اليسيرة قادرة على ايضاح الصورة المطلوبة ، في التعريف بسيرة هذا الرجل المقدام ، فيما بلغنا خبرُه من جوانب حياته ؛ ومجالات جهده وجهاده ، وفي إبراز مواقفه الثورية الشجاعة وأعماله النضالية الفذة ، في الدفاع عن عقيدته السامية وحمايتها من كيد الكائدين وعدوان الناكثين وتزييف المزيِّفين.

واللّه المسؤول أن يتقبل ذلك بقبوله الحسن الجميل ، وأن يوفّق للمزيد من هذه الدراسات المعنيَّة باولئك المجاهدين المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ، انه - تعالى - نِعْمَ الموفّق والمسدِّد والمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد حسن آل ياسين

هـو: زيد بن صُوحان(١) بن حُجْر بن الحارث بن الهِجْرِس بن سَبرة بن حِدْرِجان بن عِسَاس بن ليث بن حُدَاد بن ظالم بن ذُهْل بن عِجْل بن عمرو بن وديعة بن أفْصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دُعْميٍّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار(٢).

وأبوه: كان رأساً في الجاهلية وسيّداً في الاسلام(٣)، ولم يصلنا من خبره أكثر من ذلك.

واخوته:

١ - صَعْصَعَة بن صُوحان، وهو "أخوه لأبيه وأُمِّه" كما نصَّ المؤرخون(٤). وقد خصصناه بكتابٍ من هذه السلسلة؛ يُعنى بعرض

---

(١) نصَّ في الاصابة: ١/٥٥٠ على ضمِّ الصاد وسكون الواو وحاءٍ مهملة.

(٢) طبقات ابن سعد: ٦/٨٤ وطبقات خليفة: ١/٣٢٦ واسد الغابة: ٢/٢٣٣ - ٢٣٤. وورد النسب كلاً أو بعضاً في جمهرة النسب: ٥٨٩ والاستيعاب: ١/٥٣٩ وجمهرة أنساب العرب: ٢٩٧ وتاريخ بغداد: ٨/٤٣٩ وسير أعلام النبلاء: ٣/٥٢٥ والاصابة: ١/٥٦٥ (وفيها اختلاف في أسماء رجال السلسلة).

(٣) العقد الفريد: ٤/٣١٧، وقد ورد هذا التعريف بصوحان على لسان أُم المؤمنين عائشة في رسالتها الى زيد قبيل حرب الجمل، وسوف يرد نصها في موضعها من الكتاب.

(٤) طبقات ابن سعد: ٦/٨٤ والاستيعاب: ١/٥٣٩ واسد الغابة: ٢/٢٣٤ وسير أعلام النبلاء: ٣/٥٢٦ والاصابة: ١/٥٦٥.

جوانب من مسيرة حياته وأقباس من جهده وجهاده ، فلا نكرر ولا نعيد .

٧ ـ سُبَيْحان بن صُوحان: وكان صحابياً صدوقاً وفارساً مجاهداً ، ومن أمراء جيش المسلمين في بعض الحروب ، وقد روى المؤرخون في أخبار خروج لقيط بن مالك الأزديّ: ان دولة الخلافة كانت قد أرسلت مدداً للمسلمين المحاربين للقيطٍ ؛ رهطاً من بني ناجية عليهم الخارث بن راشد ومن بني عبدالقيس وعليهم سبيحان بن صوحان العبدي(٥) ، "فقوي المسلمون ، وانهزم لقيطٌ ، وقُتِل منْ كان معه"(٦) ، وكانت الخلافة يومذاك لا تُؤمِّر الاّ الصحابة(٧).

واشترك هذا الصحابي الكريم في حرب أتباع الجمل ؛ إطاعةً لإمامه الشرعيِّ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب – عليه السلام –؛ وتلبيةً لندائه بالتوجُّه الى البصرة لنصرته ، فنفر من الكوفة – مقرِّ داره ومسكنه – يريد البصرة ، وخطب في مسلمي الكوفة فيمن خطب من الرؤساء والزعماء ، وكان مما قال لهم:

"أيها الناس ؛ انه لابدَّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع الظالمَ ويعزُّ المظلومَ ويجمع الناس. وهذا واليكم [يعني أمير المؤمنين]

---

(٥) تاريخ الطبري: ٣/٣١٥.

(٦) الاصابة: ٢/١٩٣ ، وسُمي فيها (صيحان) بالصاد ، ولكن السين أشهر.

(٧) الاصابة: ٢/١٠٢.

يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحِبَيْه [يعني طلحة والزبير] ، وهو المأمون على الامَّة ؛ الفقيهُ في الدِّين. فمن نهض اليه فإنّا سائرون معه"(٨).

وقدم سَيحانُ البصرة ، وشارك في حرب "الناكثين" حاملاً راية قومه عَبْد القيس ، فنال هناك السعادة بشرف الشهادة على يد الخارجين على امام زمانهم ، ودُفِن مع أخيه زيدٍ في قَبْر واحد(٩).

وسيحان هذا معدود في الطبقة الاولى من سُكّان الكوفة(١٠).

* * *

وُلد زيدٌ في الجاهلية قبل الاسلام في تاريخٍ لم يصل الينا خبرُه ، كما لم يصلنا أيّ خبرٍ يُعنى بشؤون صباه وشبابه ؛ وزواجه وأولاده، سوى ما أورد أبو عبيد من خبر صعصعة بن صوحان وهو ينصح ابناً لأخيه زيد(١١) ؛ ولم يُسَمِّه. وذكر الطبري في أخبار العلويِّ الثائر بالبصرة سنة ٢٥٥هـ: انه استمال جماعةً من سكّان بغداد ؛ منهم جعفر بن محمد الصوحاني الذي كان ينتسب الى زيد بن صوحان(١٢).

---

(٨) تاريخ الطبري: ٤٨٤/٤.

(٩) جمهرة النسب: ٥٨٩ وطبقات ابن سعد: ٨٦/٦ وتاريخ خليفة: ٢١٣/١ وتاريخ الطبري: ٥١٥/٤ و ٥٢١ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٨/٣.

(١٠) طبقات خليفة: ٣٢٧/١.

(١١) الأمثال: ١٥٧.

(١٢) تاريخ الطبري: ٤١٢/٩.

وعلمنا من روايات المؤرخين أن زيداً كان يكنى "أبا سَلْمان"(١٣) لأنه كان يحبُّ سلماناً حُبّاً جمّاً و "من شدة حبه له اكتنى أبا سلمان"(١٤) ، وقيل: ان كنيته "أبو سليمان"(١٥) ، وقيل: "أبو عبدالله"(١٦) ، وقيل: "أبو عائشة"(١٧).

ومع أن بني عبدالقيس بصريُّون خليجيون ؛ فان زيداً سكن الحجاز ردحاً من الزمن ، وقد روى ابن حجر عن ابن مندة: ان عداد زيدٍ في أهل الحجاز(١٨).

ولاينافي ذلك ماتقدَّم ذكرُه من كون أخيه معدوداً في الطبقة الاولى من أهل الكوفة ، لأنه سكنها مع بني قومه عبدالقيس بعد تمصيرها ومشاركته في معارك فتح العراق كما يأتي.

(١٣) الاستيعاب: ٥٣٩/١ وتاريخ بغداد: ٤٣٩/٨ واسد الغابة: ٢٣٤/٢.

(١٤) الاصابة: ٥٦٦/١. وبراجع دلائل النبوة: ٨٢/٢ في مودة زيد لسلمان.

(١٥) الاستيعاب: ٥٣٩/١ واسد الغابة: ٢٣٤/٢ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٥/٣ والاصابة: ٥٦٥/١.

(١٦) تاريخ بغداد: ٤٣٩/٨ والاصابة: ٥٦٦/١.

(١٧) طبقات خليفة: ٣٢٦/١ وأنساب الأشراف: ٢٤٤/٢ والاستيعاب: ٥٣٩/١ وتاريخ بغداد: ٤٣٩/٨ واسد الغابة: ٢٣٤/٢ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٥/٣ والاصابة: ٥٦٥/١ و٥٦٦.

(١٨) الاصابة: ٥٥٠/١.

وأشرقت الأرضُ بنور ربِّها ، وأرسل اللّـهُ تعالى رسوله محمداً (ص) بالهدى ودين الحق ، فزهق الباطل ، وبدأت فلول الظلام والجاهلية بالانحسار عن الجزيرة العربية ، لتعيش في ظلال الاسلام حياة الخير والرغد والسعادة والرفاه.

وكان زيد بن صوحان ممن أسلم في عصر النبوة بلا ريب ، ولكننا لم نعلم متى كان اسلامه وكيف تمَّ ذلك ، فقد اكتفى الرواة بالنصِّ على أنه "كان مسلماً على عهد النبي (ص)"(١) ، وروا: ان بعضهم ذكر وفادته على رسول اللّه(ص)(٢).

وحدَّث ابن سعد وغيره: ان رسول اللّـه (ص) كان في سفرٍ ، "فنزل رجلٌ من القوم فساقَ بهم ورَجَزَ ، ثم نزل آخر ، ثم بدا لرسول اللّه (ص) أن يواسي أصحابه ، فنزل فجعل يقول:

"جُنْدَب وما جُنْدَب ؛ والأقطع الخير زيد".

---

(١) الاستيعاب: ١/٥٣٩ واسد الغابة: ٢/٢٣٤ وسير أعلام النبلاء: ٣/٥٢٥ والاصابة: ١/٥٦٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/٥٢٥ . ولعل هذه الوفادة هي المشار اليها بقول الحافظ ابن عبدالبرّ: "أدرك النبي (ص) بسنٍّ مسلماً" ، فقد كانت السنة الأخيرة من حياة النبي (ص) سنة الوفود.

"ثم ركب ، فدنا منه أصحابُه فقالوا: يا رسول اللّه ؛ سمعناك الليلة تقول: جندب وما جندب والأقطع الخير زيد؟. فقال: رجلان يكونان في هذه الأمّة: يَضْرِب أحدُهما ضربةً تفرق بين الحق والباطل؛ والآخرُ تُقْطَع يَدُه في سبيل اللّه ثم يُتْبِع اللّهُ آخِرَ جسدِه بأوّله"(٣).

وفي لفظ ابن عبدالبرّ:

"رُوِيَ من وُجُوهٍ: ان النّبيَّ (ص) كان في مسيرٍ له ، فبينا هو يسير إذ هَوَّم فجعل يقول: زيد وما زيد ؛ جندب وما جندب؟ فسُئل عن ذلك فقال: رجلان من أُمَّتي: أمّا أحدهما فتسبقه يَدُه - أو قال: بعضُ جسده - الى الجنة ثم يتبعه سائرُ جسده ، وأمّا الآخرُ فيَضْرِب ضربةً يفرق فيها بين الحقّ والباطل".

"قال أبو عمر: أُصيبت يَدُ زيدٍ يوم جلولاء ثم قُتِل يوم الجمل مع علي -رض-. وجندب قاتل الساحر"(٤).

وقد ذكر هذه الحادثةَ أحَدُ شعراء عبدالقيس في قصيدةٍ له يفخر فيها بقبيلته ورجالها ، فقال:

---

(٣) طبقات ابن سعد: ٨٤/٦ ، والنص بتفصيل أكثر في الأغاني: ١٤٤/٥.

(٤) الاستيعاب: ٥٤٠/١ ٥٤١ ، ويُراجَع في هذا النص أيضاً: المعارف: ٤٠٢ واسد الغابة: ٢٣٤/٢ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٥/٣ ٥٢٦ والاصابة: ٥٦٦/١.

وكفى بزيدٍ حين يُذْكَر فعلُهُ طوبى لذلك من صريعٍ مُكرَمِ
ذاك الذي سبقتْ لطاعة ربِّه منه اليمينُ الى جنان الأنعمِ
فدعا النبيُّ لهم هنالك دعوةً مقبولةً بين المقام وزمزمِ(٥)

وقد اختصر المحدِّثون هذه القصة فرووا خلاصتها في حَديثٍ شريف هذا نصُّه:

"قال رسولُ اللّه (ص): مَنْ سَرَّه أن ينظر الى رجلٍ يسبقه بعضُ أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان"(٦).

* * *

ثم ينتهي عهد النبوة الزاهر ، وليس لدينا من أخبار زيدٍ الاّ هذه النتف الموجزة التي لا تشبع نهم الباحث ولا تملأ فراغات البحث ، ولكنَّ فيها - على ايجازها - ما يفوق كلَّ مقاييس الدنيا ويسمو على جميع موازين البشر ؛ وهو إخبار النبي (ص) بكون زيدٍ من أهل الجنة.

وحسبه ذلك شرفاً وعزاً ؛ يوم لا يتمايز الناس بغير شرف الايمان ؛ ولا ينفعهم الاّ عزُّ الطاعةِ الصادقة والعمل الصالح والاذعانِ المطلق لله ربِّ العالمين.

---

(٥) الاصابة: ٥٥٧/١.

(٦) دلائل النبوة: ٤١٦/٦ وتاريخ بغداد: ٤٤٠/٨ والاصابة: ٥٦٥/١ ـ ٥٦٦

وآلت امور الحكم وشؤون الدولة - بعد وفاة رسول الله(ص)- الى خلفاء العصر وامراء الزمان.

ولسنا هنا بمعنيّين بهذا الموضوع الا بمقدار ما يخصُّ صاحبنا زيداً من ذلك كلّه.

ولم ترو لنا مصادر التاريخ أيّ خبرٍ عن موقف زيدٍ من الخلافة في عهدها الأول ، فلم نعلم أكان من المؤيدين لما وقع أو المعارضين له ، ولم نقف على نصٍّ يوضح لنا رأيه فيما سُمِّي يومذاك "حروب الردَّة" ، وهي الحروب التي قامت بين السلطة التي خلفت النبيَّ (ص) وبين جمهور غير قليل من المسلمين ، وقد قمعتها الحكومة الجديدة بكل عنف وشدة باسم محاربة المرتدين.

بل لم نقف على أيّ خبرٍ لزيد - فيما يتعلق بروابطه بالخلافة في عهدها الثاني - الاّ مشاركته في حروب الفتح الاسلامي ؛ إعلاءً لكلمة الله ؛ ونشراً لدين الحق والعدل في أرجاء الأرض.

ولولا مارواه المؤرخون من قطع يده في احدى هذه الحروب - كما أخبر بذلك رسول الله (ص) وهو الصادق المصدَّق - لما علمنا بوجوده في جيش الفتح ، فقد حدَّث المحدِّثون عن الأعمش "ان يدَ

زيدٍ قُطِعت يوم نهاوند"(١) ، ونصَّ بعضُهم على أنها كانت الشِّمال وان ذلك كان يوم جلولاء(٢) ، وقيل: ان ذلك كان يوم القادسية(٣)، وأجمل الخطيب البغدادي ذلك فقال: "قُطعت يدُ زيدٍ في جهاده المشركين"(٤) ، وربما تشعر عبارة الخطيب بأن الحادث كان في عصر النبوة ؛ لأن حروب الفتح لم تكن - باصطلاح المؤرخين - ضدّ المشركين.

وأضاف المؤرخون الى ذلك فرووا: "أنه كان في جيشٍ عليهم سلمان الفارسي ، فكان يؤمُّهم زيدُ بن صوحان ، يأمره بذلك سلمان"(٥).

ولمّا مُصِّرَت الكوفة وسكنها المسلمون ؛ كان زيدٌ - مع لفيف من بني قومه عبدالقيس - من جملة مَنْ سكنها(٦) ، وكانت لهم خطّةٌ من خططها ، ولابدَّ أنه قد انتقل اليها من الحجاز لأنه كان معدوداً في أهل ذلك الاقليم كما تقدَّم.

وبعد لأيٍ من تمصير الكوفة روى الرواة ان وفداً من أهلها

---

(١) طبقات ابن سعد: ٨٥/٦ والمحاسن والمساوي: ٣٥/١ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٦/٣.

(٢) الاستيعاب: ٥٤٠/١ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٧/٣.

(٣) الاصابة: ٥٦٦/١.

(٤) تاريخ بغداد: ٤٤٠/٨.

(٥) طبقات ابن سعد: ٨٥/٦ والاستيعاب: ٥٤٠/١ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٧/٣.

(٦) تاريخ بغداد: ٤٣٩/٨.

"قدموا على عمر ؛ وفيهم زيد بن صوحان... فقال عمر:

"ياأهل الكوفة ؛ انكم كنز أهل الاسلام ، إن استمدَّكم أهلُ البصرة أمددتموهم ، وإن استمدَّكم أهل الشام أمددتموهم.

"وجعل عمرُ يُرَحِّل لزيدٍ وقال: يا أهل الكوفة ؛ هكذا فاصنعوا بزيدٍ"(٧).

وفي نصٍّ آخر:

"دعا عمرُ بن الخطاب زيدَ بن صوحان فضَفَّنه على الرَّحْلِ... ثم التفت الى الناس فقال: اصنعوا هذا بزيدٍ وأصحاب زيد"(٨).

ثم ينتهي العهدانِ الأولان من عهود الخلافة ؛ وليس لدينا من أخبار زيد الاّ القليل القليل ، ولكنها على قلّتها تدل على أن زيداً معدود في المقدمة من الصحابة وفي طليعتهم البارزة المحاطة بالاحترام والتقدير ، وحسبنا من شواهد ذلك أن يكون إمام الصلاة بأمر سلمان ؛ وأن يُرَحِّل له الخليفةُ عمر بنفسه ؛ وان يصف الوفدَ المرافق له بـ"أصحاب زيد".

* * *

وانتهت نوبة الخلافة الى الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

وكان بعض أعمال هذا الخليفة وتصرفاته مورداً للنقد

---

(٧) طبقات ابن سعد: ٨٥/٦ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٦/٣.

(٨) طبقات ابن سعد: ٨٥/٦ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٦/٣ والإصابة: ٥٦٦/١.

والاستنكار من جمهورٍ غفير من المسلمين ، ممالا مجال للخوض في تفاصيله الآ بقدر ما يخص صاحبنا زيداً من أحداثه وملابساته.

وبذل غيارى المسلمين وأهلُ الرأي الصادق والدين الخالص قصارى جهدهم وغاية مقدورهم في نصح الخليفة وثنيه عما هو فيه، فلم يُجْدِ ذلك نفعاً ولم يجدْ له سمعاً أمام إصرار الحاكم على السير في النهج الذي اختاره ورغب فيه.

ويروي المؤرخون في جملة ذلك ان زيد بن صوحان قام يوما الى عثمان فقال له فيما قال:

"يا أمير المؤمنين ؛ مِلْتَ فمالتْ أُمَّتُك ، اعْتَدِلْ تعتدل امتك ، ثلاث مرار"(٩).

ولكن المستفاد من سير الأحداث أن جميع تلك النصائح والتوجيهات والمحاولات لتقويم المسيرة وتجنب الفتنة قد باءت بالفشل. بل بدأ الموقف بالتفجُّر في عددٍ من أمصار المسلمين . وكانت اولى الانفجارات في مدينة الكوفة ، وهي التي سماها الخليفة عمر في خطابه لزيدٍ وأصحابه: "كنز أهل الاسلام" كما تقدّم.

وتتلخص بداية المشكلة أو الانفجار في الكوفة - كما روى غير واحد من المؤرخين - بالحادثة الآتية:

كان سعيدُ بن العاص لمّا وَلِيَ الكوفة "يجالس قرّاءها ووجوهَ

---

(٩) طبقات ابن سعد: ٨٥/٦ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٧/٣.

أهلها ويسامرهم ، فيجتمع عنده منهم: مالك بن الحارث الأشتر النخعي وزيد وصعصعة ابنا صوحان العبديان" وآخرون.

"فانهم لَعِنْدَه قد صلوا العصر إذ تذاكروا السوادَ والجبلَ ففضّلوا السواد.... فقال عبدالرحمن بن خنيس الأسدي صاحب شُرَط الوالي: لوددتُ أنه للأمير وأن لكم أفضل منه. فقال له الأشتر: تَمنَّ للأمير أفضلَ منه ولا تمنَّ له أموالنا.

"فقال عبدُ الرحمن: ما يضرُّك من تَمَنِّيَّ حتى تزوي ما بين عينيك ، فواللّهِ لو شاء كان له.

"فقال الأشتر: واللّهِ لورام ذلك ما قدر عليه.

"فغضب سعيدٌ وقال: انما السَّوَاد بستان قريش.

"فقال الأشتر: أتجعل مراكزَ رماحِنا وما أفاء اللّهُ علينا بستاناً لك ولقومك ، واللّهِ لو رامه احَدٌ لقُرِعَ قرعاً يتصأصأ منه ، ووثب بابن خنيسٍ ، فأخذَتْه الأيدي.

"فكتب سعيد بن العاص بذلك الى عثمان وقال: اني لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يُدْعَوْنَ القُرّاء - وهم السُّفهاء!!- شيئاً.

"فكتب اليه: أنْ سَيِّرْهم الى الشام.

"فسَيَّرَ سعيدٌ الأشترَ ومَنْ كان وثب مع الأشتر وهم: زيد وصعصعة ابنا صُوحان ؛ وعائذ بن حَمَلَةَ الطُّهَوي من بني تميم ؛

وكُمَيل بن زياد النخعي ؛ وجُندب ابن زهير الأزدي" وآخرون(١٠).

هكذا بدأ الانفجار كما حكت هذه الرواية ، وهي رواية راجحة الصدق والوقوع ، بل ربما تعكس بعض الحقيقة لاكلها ، وانها لمنسجمة تماماً مع ما عرفنا من مشاعر اولئك الحاكمين المعقّدة ونفسيتهم المشبعة بالمرض والانحراف ؛ وهم يتصنّعون التّعالي و(الارستقراطية) والغطرسة على الناس ، مما ورد في كتب التاريخ الكثير من شواهده الصارخة وأمثلته التي لا تقبل الجدل والمناقشة.

ولكن الطبري إذ يروي خلاصة الحادثة لا يذكر أسبابها ولا يتطرق الى ايراد شيء من مقدّماتها - وهذا ديدنه في أمثال هذه المواقف -، فهو يقول:

"اجتمع نفرٌ بالكوفة يطعنون على عثمان ؛ من أشراف أهل العراق: مالك بن الحارث الأشتر وثابت بن قيس النخعي وكميل بن زياد النخعي وزيد بن صوحان العبدي وجندب بن زهير الغامدي وجندب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي.

"فكتب سعيد بن العاص الى عثمان يخبره بأمرهم ، فكتب اليه أنْ سيّرْهم الى الشام وألْزِمْهم الدُّروب"(١١).

---

(١٠) أنساب الأشراف: ٥/٤٠ - ٤١ ، وبتفصيل أكثر في الأغاني: ١٢/١٤١ - ١٤٢. ويُراجَع في النص: فتوح ابن أعثم: ٢/١٧١ - ١٧٨ وشرح نهج البلاغة: ٢/١٢٩-١٣٤ والاصابة: ١/٥٦٦. (١١) تاريخ الطبري: ٤/٣٢٦.

ومهما يكن من أمرٍ ، فقد أثار أمْرُ عثمان بتشريد هذه النخبة من قرّاء المسلمين وذوي الشأن فيهم ؛ سخطَ الجماهير بالكوفة واستنكارَهم لذلك ، "فكتب جماعة من القرّاء الى عثمان... ان سعيداً كثّر علي قوم من أهل الورع والفضل والعَفاف ؛ فَحَمَلَكَ في أمرهم على مالا يحلُّ في دينٍ ولا يحسن في سماع. وإنّا نذكّرك اللّهَ في أمّة محمد ؛ فقد خفنا أن يكون فسادُ أمرهم على يديك ، لأنك قد حملت بني أبيك على رقابهم. واعلمْ أن لك ناصراً ظالماً وناقماً عليك مظلوماً فمتى تَصْرُكَ الظالم تنقم عليك الناقم ؛ تَبايَن الفريقان واختلفت الكلمة ، ونحن نُشْهِد عليك اللّهَ وكفى به شهيداً ؛ فانك أنت إن ما اتّقيت اللّهَ واستقمتَ ، ولن تجد دون اللّهِ ملتَحَدا ؛ ولا عنه مستقدا.

"ولم يُسَمِّ أحدٌ منهم نفسَه في الكتاب ، وبعثوا به مع رجل من عنزة يُكنى أبا ربيعة. وكتب كعبُ بن عبدة كتاباً من نفسه تَسمّى فيه ؛ ودَفَعَه الى أبي ربيعة أيضاً.

"فلما قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن اسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يُخبره ، فأراد ضَرْبَه وحبسَه ، فمنعه عليٌّ من ذلك وقال: انما هو رسولٌ أدّى ما حُمِّل".

فلم يكن جواب عثمان على هذه الرسالة أو النصيحة الاّ أن يكتب الى سعيدٍ أن يضرب كعبَ بن عبدة عشرين سوطاً ويحوّل

ديوانه الى الريّ. ففعل"(١٢).

وبقي قرّاء الكوفة المسيَّرون الى دمشق أسرى الإقامة الجبرية المفروضة عليهم هناك ، ويبدو أن معاوية كان يجتمع بهم بين حين وآخر ، وربما كان ذلك لغرض اختبار مدى تأثير هذه العقوبة عليهم، وقد رُوي انه "جرى بين معاوية وبين الأشتر قولٌ حتى تغالظا"(١٣).

ولمّا أيس معاوية من تراجعهم عمّا هم عليه ؛ لم يطق صبراً على وجودهم في عاصمته ، "فكتب الى عثمان: انك بعثتَ إليَّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه ، ولا آمَن أنْ يُفْسِدوا طاعة مَنْ قِبَلي ويعلّموهم مالا يحسنونه ؛ حتى تعود سلامتهم غائلةً واستقامتهم اعوجاجاً".

فكتب عثمان الى معاوية "يأمره أن يُسَيِّرهم الى حمص. ففعل.

"ويُقال: ان عثمان كتب في ردِّهم الى الكوفة ، فضجَّ منهم سعيدٌ ثانيةً ، فكتب في تسييرهم الى حمص ، فنزلوا الساحل"(١٤).

وأقام القومُ هناك مدة من الزمن قبل أن يعودوا الى الكوفة بعد ذلك ؛ منتهزين فرصة غياب معاوية عن الشام وسعيد بن العاص عن

---

(١٢) أنساب الأشراف: ٥/٤١-٤٢.

(١٣) المصدر نفسه: ٥/٤٣.

(١٤) أنساب الأشراف: ٥/٤٣.

الكوفة(١٥). ولكنهم لم يغيّروا شيئاً مما كانوا عليه ؛ ولم تردعهم عقوبات الخليفة ووالِيَيْه عن إنكار المنكر والأمر بالمعروف والذكر العلني لسوء الأوضاع يومذاك. وقد نصَّ المؤرخون على أسماء بعض هؤلاء الداعين للاصلاح والثائرين بالحق ، ومنهم: الأشتر وزيد بن صوحان وكميل بن زياد وآخرون(١٦).

ثم أوفد أهلُ الكوفة - زيادة في إقامة الحجة واتّقاء الفتنة - وفداً منهم الى الخليفة بالمدينة ، وقد ضمَّ فيمن ضمَّ من الوجوه البارزين كلاً من مالك بن الحارث الأشتر ويزيد بن مكفف وثابت ابن قيس وكميل بن زياد النخعي وزيد وصعصعة ابني صوحان العَبْدِيَّيْن وغيرهم ، وكان مطلبهم الأهم هو عزل سعيد بن العاص عنهم(١٧) ، عسى أن يكون في عزله ما يرضي الناس ويقضي على بذور الشرِّ والفساد ويخمد النار التي توشك أن تحرق الأخضر واليابس وتفكّكَ المجتمعَ وتماسُكَه ووحدته.

وذهبت جميع تلك المحاولات الاصلاحية الخيِّرة أدراج الرياح. وأصرَّ الخليفة على مواقفه المثيرة لسخط المسلمين واحتجاجهم ، وأبى أن يتراجع عن أيٍّ منها مهما كانت النتائج والمحتملات.

ولم يجد المسلمون بدّاً - وقد عيل صبرهم على جرائم مروان بن

---

(١٥) أنساب الأشراف: ٥/٤٤.

(١٦) تاريخ الطبري: ٤/٤٠٣ والأغاني: ١٢/١٤٣.

(١٧) طبقات ابن سعد: ٥/٢٢.

الحكم والفساد العام المنتشر في كل قطر ومصر ؛ وعلى رضا الخليفة بكل ذلك أو سكوته عنها في أحسن تقدير - من التوجُّه الى المدينة على هيئة مجموعاتٍ كبرى تمثل كل مجموعة منها مصراً من أمصار الاسلام في مشرق الجزيرة العربية ومغربها ، منبهين الخليفة على الواقع المرِّ المؤلم ، وطالبين منه الكفَّ عن ذلك والعودة الى العمل بكتاب اللّه وسنّة رسوله ؛ على نحوٍ واضح صريح ليس فيه أي مجال للتلاعب والتأويل واللّفِّ والدوران.

"وخرج أهل الكوفة في أربع رِفاق ، وعلى الرفاق: زيد بن صوحان العبدي ؛ والأشتر النخعي ؛ وزياد بن النضر الحارثي ؛ وعبداللّه بن الأصمّ أحد بني عامر بن صعصعة. وعددهم كعدد أهل مصر" ستمائة أو ألف(١٨).

واشتدَّ لهيب الثورة في المدينة المنورة بعد فشل كل محاولات الاصلاح والتهدئة ، وأسفرت نتائجها عن انهيار النظام ومقتل عثمان.

* * *

وكان لا مناص للثوار وهم يريدون إصلاح ما فسد ؛ وتقويم ما انحرف ؛ والعودة بالمسيرة الاسلامية الى طريقها النبوي المهيع ، أن يتجهوا الى بيعة الرجل الأمين على ذلك كله ؛ والعامل حقاً بكتاب

(١٨) تاريخ الطبري: ٤/٣٤٩ ، ويراجع شرح نهج البلاغة: ٢/١٤٠.

اللّه وسنة رسوله ؛ والمنفّذ بصدقٍ لقوانين الشرع وأحكام الدين ، والمطبّق بكل صرامةٍ لسنن العدل والمروءة والانصاف ؛ بلا محاباة ولا ميل ولا انحراف.

وهكذا بويع عليٌّ (ع) لخلافة المسلمين.

واجتمعت لأول مرة بعد وفاة النبي (ص) حكومةُ الأرض وإمامةُ الدين في هذه الخلافة الشرعية الجديدة ، كما التقى - ولأول مرةٍ أيضاً - تنفيذُ النصِّ النبوي والانتخابُ الجماهيري في شخص الخليفة الجديد.

وبادر المسلمون الصادقون والمؤمنون المخلصون في الأرض الاسلامية كلها الى البيعة باستثناء اولئك الذين سمّاهم النبي (ص) "القاسطين"(١٩) ، وهم معاوية وأتباعه وبنو امية ورفاقهم من بقايا مشركي مكة الكفّار بالتنزيل وبعض الذين أطلق اللّه تعالى عليهم في محكم كتابه اسم "المؤلّفة قلوبهم".

وكان زيد بن صوحان العبدي أحد اولئك المبادرين الى بيعة عليّ(٢٠).

وسرعان ما تجمّعت الأحقاد الدفينة والمطامع الذاتية والانتهازية

---

(١٩) يراجع في الحديث النبوي الشريف بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين: الاستيعاب: ٥٣/٣ وتاريخ بغداد: ٣٤١/٨ و١٨٧/١٣ وشرح نهج البلاغة: ٢٠١/١ و ٢٩٧/٨ و١٨٣/١٣ ومجمع الزوائد: ٢٣٨/٧.

(٢٠) الجمل: ٥٠.

الدنيئة ؛ في حلفٍ خسيس غير مقدَّس ، لوضع كل العراقيل والمعوّقات في طريق الخلافة الجديدة ومنعِها من الوصول الى هدفها الأسمى وهو تطبيق حكم اللّه في الأرض تطبيقاً سليماً منزّهاً من كل الشوائب والانحرافات.

وتحرَّك موكبُ هذا الحلف من المدينة المنورة باتجاه البصرة ؛ للتحشد هناك أوّلاً ثم الانطلاق نحو ثغرٍ ثغرٍ من ثغور المسلمين ؛ للشغب واثارة الفتنة والحض على التمرد ونكث البيعة.

وتسلّم قيادةَ هذا التجمُّع المشؤوم كلٌّ من الزبير بن العوّام وطلحة ابن عبيد اللّه - ولكل واحدٍ من هذين الرجلين دوافعه الخاصة وطموحاته النفسية ونوازعه الشخصية المعروفة -، وصحبوا معهم أُمَّ المؤمنين عائشة ليجعلوا منها ومن "جملها" المسكين الذي كانت تركبه "رمزاً" لهذه الحرب العدوانية الباغية.

وبدأ هذا التجمع يعدُّ العُدَّة للعمل ويتخذ الخطوات الاولى للتنفيذ.

وكان من جملة تلك الخطوات رسائل السيدة عائشة الى عدد من وجوه المسلمين ؛ لإثارتهم على عليّ (ع) أو منعهم من المشاركة في دعم موقفه من هؤلاء البغاة ، ومنها رسالة الى زيد بن صوحان بالكوفة كتَبَتْها لما قدمت البصرة ، جاء فيها في رواية الطبري:

"من عائشة ابنة أبي بكر أُمِّ المؤمنين حبيبة رسول اللّه (ص) الى

ابنها الخالص زيد بن صوحان. أمّا بعد: فاذا أتاك كتابي هذا فاقدمْ فانصرنا على أمرنا هذا ، فإن لم تفعل فخَذِّل الناسَ عن عليّ"(٢١).

وفي لفظ الشيخ المفيد:

"من عائشة ابنة أبي بكر أُمِّ المؤمنين زوج النبي (ص) الى ابنها المخلص زيد بن صوحان. أمّا بعد: اذا جاءك كتابي هذا فأقِمْ في بيتك وخَذِّلِ الناسَ عن عليٍّ حتى يأتيك أمري ، ولْيَبْلغني عنك ما أقرُّ به فانك من أوثق أهلي عندي. والسلام"(٢٢).

وفي نصٍّ ابن عبد ربِّه الأندلسي:

"من عائشة أمِّ المؤمنين الى ابنها الخالص زيد بن صوحان: سلامٌ عليك ، أمّا بعد: فان أباك كان رأساً في الجاهلية وسيداً في الاسلام ، وانك من أبيك بمنزلة المُصَلّي من السابق يقال كادَ أو لحق. وقد بلغك الذي كان في الاسلام من مصاب عثمان بن عفان ، ونحن قادمون عليك ، والعيان أشفى لك من الخبر ، فاذا أتاك كتابي هذا فثبِّط الناسَ عن علي بن أبي طالب ، وكن مكانك حتى يأتيك أمري. والسلام"(٢٣).

ولمّا وصل كتابُ أم المؤمنين الى زيدٍ سارع زيد الى الجواب وقال في كتابه بلفظ الطبري:

---

(٢١) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٦.

(٢٢) الجمل: ٢٢٩ وشرح نهج البلاغة: ٦/٢٢٦.

(٢٣) العقد الفريد: ٤/٣١٧.

"من زيد بن صوحان الى عائشة ابنة أبي بكر الصديق: أمّا بعد؛ فأنا ابنكِ الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ورجعتِ الى بيتك ، والاّ فأنا أوّل مَنْ نابذك".

ثم قال زيد معلّقاً على خروجها الى البصرة: "رحم اللّه أُمَّ المؤمنين ، أُمِرَتْ أنْ تلزم بيتها وأُمِرْنا أن نُقاتِل ، فتركتْ ما أُمِرَتْ به وأمَرَتْنا به ، وصنعت ما أُمِرْنا به ونَهَتْنا عنه"(٢٤).

وفي نصّ الشيخ المفيد في رواية الجواب:

"من زيد بن صوحان الى عائشة بنت أبي بكر: أما بعد ؛ فان اللّه أمركِ بأمرٍ وأمَرَنا بأمرٍ ؛ أمَرَكِ أن تقرّي في بيتك وأمرنا بالجهاد ، فأتاني كتابُكِ بضدِّ ما أمَرَ اللّهُ به ، وذلك خلاف الحق. والسلام"(٢٥).

هكذا كان جواب زيدٍ على كتاب أُم المؤمنين ، وهو جواب صريح وواضح في مبانيه ومعانيه ومنطلقاته الاسلامية الأُصيلة.

ثم كان جوابه الأفصح والأوضح لمّا قدم الحسن بن عليّ (ع) وعمار بن ياسر الى الكوفة يستنفران أهلها لمحاربة أتباع الجمل ، وكان أبو موسى الأشعري - وهو والي الكوفة يومذاك - يثبّط الناس عن الذهاب الى البصرة لنصرة علي (ع) ، "فوثب زيد بن

---

(٢٤) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٦-٤٧٧.

(٢٥) الجمل: ٢٣٠ ، وقريب منه في العقد الفريد: ٤/٣١٧-٣١٨ وشرح نهج البلاغة: ٦/٢٢٦-٢٢٧.

صوحان وأصحابه مع شيعة عليٍّ بالسيوف وقالوا: مَنْ لم يطع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فماله عندنا الاّ السيف".

ثم قرأ زيد: ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم ، ألـم ، أحَسِبَ النـاسُ أنْ يُتْرَكوا أن يقولوا آمَنّا وهم لا يُفْتَنون ، ولقد فَتَنّا الذين من قبلهـم فليَعْلَمنَّ اللّهُ الذين صدقوا وَليعلمـنَّ الكـاذبين﴾(٢٦) ، أيهـا النـاس ؛ سيروا الى أمير المؤمنين ، وانفـروا اليـه أجمعـين ، تُصيبـوا الحَـقَّ راشدين"(٢٧).

وفي لفظ الشيخ المفيد:

قال زيد بن صوحان: "ياأبا موسى ؛ تريد أن تـردَّ الفـرات عـن أدراجه ؛ إنه لا يرجع من حيث بدأ ، فإن قدرتَ على ذلك فستقدر على ما تريد. ويلك ﴿ألـم ، أحَسِبَ الناس أن يُتْرَكوا أنْ يقولوا آمَنّا وهم لا يُفْتَنُون﴾.

"ثم قال: أيها الناس ؛ سـيروا الى أمـير المؤمنـين ، وأطيعـوا ابـنَ سيد المرسلين [يعني الحسن بن علي] ، وانفروا اليه أجمعـين ؛ تُصيبـوا الحـقَّ وتظفـروا بالرَّشَـد ، قـد واللّـهِ نصحتُكـم فـاتبعوا رَأيـي ترشدون"(٢٨).

وفي نصِّ الطبري:

---

(٢٦) سورة العنكبوت /١-٣.

(٢٧) فتوح ابن أعثم: ٢/٢٩١-٢٩٢.

(٢٨) الجمل: ١٣٤ وشرح نهج البلاغة: ١٤/٢٠.

"وثار زيد بن صوحان... وقال: أُمِرَتْ بأمرٍ وأُمِرْنا بأمر، أُمِرَتْ أنْ تقرَّ في بيتها وأُمِرنا أن نُقاتِل حتى لا تكون فتنة، فأمَرَتْنا بما أُمِرَت به، وركبتْ ماأُمِرْنا به. ثم قرأ: ﴿ألم أحسب الناسُ أن يُتْرَكوا﴾ الى آخر الآيتين. سيروا الى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وانفروا اليه أجمعين تصيبوا الحقّ"(٢٩).

* * *

ولم يكن لدى عليٍّ (ع) من بُدٍّ وقد تجمَّع الناكثون والقاسطون في البصرة؛ الاّ التوجُّه نحوها لمقاتلة هؤلاء البغاة حتى يفيئوا الى أمر اللّه.

ونزل عليٌّ (ع) ذاقار-وهو في الطريق الى البصرة -، وبدأت وفود أنصاره بالتجمع هناك، فاجتمع منهم عدد كثير، و "كان رؤساء النفّار: زيد بن صوحان؛ والأشتر مالك بن الحارث؛ وعَديّ ابن حاتم؛ والمُسَيَّب بن نَجَبَة؛ ويزيد بن قيس، ومعهم أتباعهم"(٣٠).

وبدأ أمير المؤمنين (ع) يُكتّب الكتائب وينظّم شؤون الجيش استعداداً للحرب وساعة المنازلة، وكان من جملة ذلك: انه استعمل "على خيل عبدالقيس من أهل الكوفة زيدَ بن صوحان العبدي"(٣١)،

(٢٩) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٤ وشرح نهج البلاغة: ١٤/١٩-٢٠.

(٣٠) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٨.

(٣١) الجمل: ١٧١ والاصابة: ١/٥٦٦.

فكانت بيده يومذاك راية عبدالقيس(٣٢).

ثم أراد - عليه السلام - أن يستثمر كلَّ احتمالات السلام والموادعة ، بإقامة الحجة على هؤلاء الناكثين البغاة قبل أن تُشْهَر السيوف وتُشْرَع الرماح ، عسى أن يرتدعوا عن غيِّهم ويثوبوا الى رشدهم ولات حين مندم ، فخرج راكباً فرس رسول اللّه (ص) "المرتجز" ، ولم يأخذ معه سلاحاً ، فنادى: ياطلحة يازبير ؛ اخرجا اليَّ ، فلم يخرجا.

فنادى - للمرة الثانية - يازبير ؛ اخرجْ إليَّ ، فخرج وهو شاكٍ في السلاح.

والتقيا... فقال له عليٌّ: ما أخْرَجَك؟

قال الزبير: "الطلب بدم عثمان.

قال علي: "قتل اللّه قاتل عثمان. أما تذكر يازبير يوم لقيتُكَ وأنت مع رسول اللّه (ص) في بني بياضة ، فضحكتُ اليه وضحك إليَّ ، فقلتَ أنتَ: يارسول اللّه ؛ لا يدع عليٌّ زَهْوَه ، قال رسولُ اللّه: ليس به زهوٌ ؛ أتحبُّه ؟ ، فقلتَ أنتَ: اي واللّهِ اني لأُحبُّه. فقال: أمَا إنك ستقاتله وأنتَ له ظالم".

قال الزبير: "أستغفر اللّه ، لو ذكرتُها ما خرجتُ ، فكيف أرجع الآن وقد التقتْ حلقتا البطان ، هذا - واللّه - العارُ الذي لا يُغْسَل.

(٣٢) جمهرة النسب: ٥٨٩ وفتوح ابن أعثم: ٣١٨/٢ والاستيعاب: ٥٤٠/١ واسد الغابة: ٢٣٤/٢.

قال عليٌّ: "يازبير ؛ ارجع بالعار قبل أن يجتمع العار والنار.

فرجع الزبير وهو يقول:

اخترتُ عاراً على نارٍ مؤجَّجةٍ أنّى يقـوم لهـا خلقٌ من الطـينِ

نادى عليٌّ بأمرٍ لستُ أجهله قد كان عمر أبيك الخير مذ حينِ

فقلتُ: حسبك من عـذلي أبـا حسـنٍ

فانَّ بعض الذي قد قلتَ يكفيني(٣٣)

ثم استدعى طلحةَ ، ودار بينهما الحوار الآتي:

قال عليٌّ: "ياأبا محمد ؛ ما أخرجك؟.

قال: "الطلب بدم عثمان.

فقال علي: "قتل اللّه قاتل عثمان ، أمـا تذكـر ياأبـا محمـد قـول النبي (ص): اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ من عاداه.

فقال طلحة: استغفر اللّهَ ؛ لو ذكرتُها ما خرجتُ"(٣٤).

فرجع طلحة ، فرأى مروانُ بن الحكم عليه امارات الندم ، فقال مروان في نفسه: "ماأُبالي أرميتُ بسهمي هاهنا أم هاهنا" ، ثـم رمـى

---

(٣٣) وقعة الجمل: ٣٨-٣٩. ويراجع في هذه المحاورة بين علي والزبير: تاريخ اليعقوبي: ١٥٨/٢-١٥٩ والأخبار الطوال: ١٤٧-١٤٨ وأنساب الأشراف: ٢٥١/٢ و٢٥٢ وتاريخ الطبري: ٥٠١/٤-٥٠٢ وفتوح ابن أعثم: ٣٠٩/٢-٣١٠ ومروج الذهب: ٢٤٧/٢ والاستيعاب: ٥٦٤/١ ودلائل النبوة: ٤١٤/٦-٤١٥ والكامل لابن الأثير: ١٢٢/٣ ١٢٣ والاصابة: ٥٢٧/١.

(٣٤) وقعة الجمل: ٤١-٤٢. ويراجع في هذه المحاورة: مروج الذهب: ٢٤٨/٢.

طلحةَ فأصاب أكحَلَه فقتله(٣٥).

ثم دعا عليٌّ (ع) كلا من زيد بن صوحان وعبدالله بن عباس فقال لهما: امضيا الى عائشة فقولا لها:

"ألم يأمركِ اللّه تبارك وتعالى أن تقرّي في بيتك؟! ، فخُدِعتِ وانخدعتِ ؛ واستُنْفِرتِ فنَفَرْتِ ، فاتّقي اللّه الذي اليه مرجعك ومعادك ، وتوبي اليه فانه يقبل التوبة عن عباده ، ولا يحملنّكِ قرابةُ طلحة وحبُّ عبدالله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بكِ الى النار.

"فانطلقا اليها ، وبلّغاها رسالةَ عليّ (رض) ، فقالت عائشة: ماأنا برادَّةٍ عليكم شيئاً ، فاني أعلم أني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب.

"فرجعا اليه وأخبراه بالخبر"(٣٦).

وهكذا فشلت كل محاولات السلم والاصلاح واطفاء الحريق ، وأصرَّ أهل البغي على ضلالهم وغيِّهم وفتنتهم وتمردهم على حكم اللّه ورسوله ، ولم يكن من بدٍّ في هذه الحال من تحكيم السيف وبدء المنازلة.

ودقت ساعة الجلاد والحرب ، والتحم الفريقان في صفّيْن

(٣٥) يراجع في قتل مروان بن الحكم لطلحة: تاريخ اليعقوبي: ١٥٨/٢ وأنساب الأشراف: ٢٤٦/٢-٢٤٧ ومروج الذهب: ٢٤٩/٢ والاستيعاب: ٢١٣/٢-٢١٤ والكامل لابن الأثير: ١٢٤/٣ وشرح نهج البلاغة: ٣٦/٩و١١٣-١١٤ والاصابة: ٢٢٢/٢.

(٣٦) فتوح ابن أعثم: ٣٠٦/٢.

متقابلين: صفّ يقاتل دفاعاً عن الامامة الدينية والخلافة الشرعية ممثلة بعلي بن ابي طالب (ع) ، وصف يقاتل فيّ سبيل الأطماع الدنيوية والأحقاد البدرية والمصالح الذاتية ممثلة برمزها الأبكم المسكين "الجمل" المشؤوم.

و"حملتْ مضرُ الكوفة فاجتلدوا قدّام الجمل حتى ضرِسوا ، والجنّبات على حالها.... ومع عليّ أقوام غير مضر ، فمنهم زيد بن صوحان ، فقال له رجلٌ من قومه: تَنَحَّ الى قومك ، مالكَ ولهذا الموقف ، ألستَ تعلم أن مضر بحيالك ؛ وان الجمل بين يديك وان الموت دونه. فقال: الموت خير من الحياة ، الموت أريد"(٣٧).

وبرز زيد الى القوم فصال وجال حتى قُتِل هو وأخوه سَيحان(٣٨) ، وذهبا الى ربِّهما شهيدَي بغي البغاة ونكث الناكثين. وارتجز راجز من أتباع الجمل يفخر بقتل الصحابي المشهود له بالجنة زيد بن صوحان(٣٩).

ورُوي أن زيداً لَمّا أراد التوجُّه نحو المبارزة ذهب الى علي (ع) فقال له: "ياأمير المؤمنين ؛ اني رأيتُ يداً أشرفتْ عَليَّ من السماء وهي تقول: هلمَّ الينا. وأنا خارج الى ابن يثربي ، فاذا قتلني فادفني

---

(٣٧) تاريخ الطبري: ٤/٥١٤.

(٣٨) تاريخ الطبري: ٤/٥١٤و٥٢١و٥٢٨و٥٣٠و٥٤٢.

(٣٩) تاريخ الطبري: ٤/٥١٧و٥٢٣و٥٣١ والجمل: ١٨٤-١٨٥.

بدمي ولا تغسّلني ، فاني مخاصم عند ربي. ثم خرج فقتله عمرو"(٤٠).

وروى الرواة ان زيداً لمّا ارْتُثَّ يوم الجمل دخل عليه بعضُ أصحابه فقالوا: أبْشِر بالجنة. فقال لهم: "لا تغسلوا عنّي دماً ، ولا تنزعوا عني ثوباً... فاني مخاصِمٌ أُحاجُّ يوم القيامة"(٤١) ، وأوصى كذلك "أن يُدفَن معه مصحفُه"(٤٢).

وأُبْلغت السيدة عائشة بمقتل زيد فقالت: "أمعي أم عَلَيَّ؟ ، قالوا: عليكِ ، قالت: إنّالله وانّا اليه راجعون ، سمعتُ رسولَ اللّه (ص) يقول: زيد بن صوحان في الجنة"(٤٣).

وفي رواية البيهقي: أنها لما علمتْ بمقتل زيد قالت: "إنّالله وإنّا اليه راجعون ، يرحمه اللّه"(٤٤).

* * *

وهكذا ذهب زيد الى جنته الموعود بها شهيداً بسيف البغي واللؤم والحقد الدفين ، طاهر الذيل ؛ نقيَّ النفس ؛ صادق الدين ؛ ثابت القدم ؛ وفياً بما عاهد اللّه عليه من رسوخ الايمان وصلابة

(٤٠) شرح نهج البلاغة: ١/٢٥٨-٢٥٩.

(٤١) أنساب الأشراف: ٢/٢٤٥ وسير أعلام النبلاء: ٣/٥٢٨ ، وقريب من ذلك في غريب الحديث لأبي عبيد: ٤/٣٧٧.

(٤٢) طبقات ابن سعد: ٦/٨٦ وسير أعلام النبلاء: ٣/٥٢٨.

(٤٣) وقعة الجمل: ٤٤.

(٤٤) دلائل النبوة: ٦/٤١٧.

الاعتقاد ، فلا غرابة اذا ما بلغنا عن عليٍّ (ع) حزنه الشديد عليه(٤٥) ، فان فقدانه وفقدان أمثاله من نجباء الصحابة - في ذلك المجتمع الذي غمرته الأطماع ودبَّ اليه التخلخل والفساد - خسارة لا تعوَّض وثلمة لا تُسَدُّ.

وحسبنا معرفةً بهذا الرجل العظيم ؛ وتخليداً لذكراه العطرة وسيرته الزكيَّة ؛ أن نقرأ بعض ما روى الرواة في شأنه وما قال العلماء والمؤرخون فيه ، ولعل في الوقوف على ذلك - على ايجازه وعدم استيعابه - ما يغني عن كثير من التطويل والتفصيل:

١ - بلغ سلمانَ الفارسيَّ ان زيداً يقوم الليل ويصوم النهار واذا كانت ليلة الجمعة أحياها حتى مطلع الفجر ، فأتى داره سائلاً عنه ، "قالت امرأته: ليس هاهنا. قال: فاني أُقسم عليك لما صنعتِ طعاماً ولبستِ محاسن ثيابكِ. ثم بعث الى زيدٍ ، فجاء زيدٌ ، فقرّب الطعام ، فقال سلمان: كلْ يازُبَيْد ، قال: اني صائم ، قال: كُلْ يازبيد لا ينقص - أو: لا تُنْقِصْ - دينك ، إنَّ شَرَّ السَّيْرِ الحَقْحَقة [أي الذي لا يُطاق] ، إنَّ لعينكَ عليك حقاً ، وان لبدنك عليك حقاً ، وان لزوجتك عليك حقاً ، كُلْ يازُبَيد. فأكل ، وترك ما كان يصنع"(٤٦).

٢ - طلب معاوية من عقيل بن أبي طالب أن يحدِّثه عن

---

(٤٥) مروج الذهب: ٢/٢٥٣.

(٤٦) تاريخ بغداد: ٨/٤٣٩.

أصحاب عليٍّ (ع) لأنه ذو معرفةٍ بهم ، "فقال عقيل: سل عمَّن بدا لك" ، فسأله عن جماعةٍ منهم حتى بلغ آل صوحان ، فقال عقيل عن زيد وأخيه: "انهما نهران جاريان ، يصبُّ فيهما الخلجان ، ويغاث بهما البلدان ، رَجُلا جدٍّ لا لَعِبَ معه"(٤٧).

٣- وصف صعصعةُ بن صوحان لعبدالله بن عباس أخاه زيداً فقال:

"كان - والله - يابنَ عباس عظيم المروة ؛ شريف الاخوَّة ؛ جليل الخطر ؛ بعيد الأثر ؛ كميش العروة ؛ أليف البدوة ، سليم جوانح الصدر ؛ قليل وساوس الدهر ؛ ذاكر الله طرفي النهار وزلفاً من الليل ، الجوع والشبع عنده سيّان ، لا ينافس في الدنيا وأقلُّ أصحابه مَنْ ينافس فيها ، يطيل السكوت ؛ ويحفظ الكلام ، وإنْ نطق نطق بعقام ، يهرب منه الدعّار الأشرار ؛ ويألفه الأحرار الأخيار.

"فقال ابن عباس: ما ظنُّك برجلٍ من أهل الجنة. رحم الله زيداً"(٤٨).

٤- "كان ثقةً"(٤٩).

---

(٤٧) مروج الذهب: ٣٣٧/٢.

(٤٨) مروج الذهب: ٣٤٤/٢ ٣٤٥.

(٤٩) طبقات ابن سعد: ٨٦/٦ وسير أعلام النبلاء: ٥٢٨/٣.

٥- "كان فاضلاً دَيِّناً سيداً في قومه"(٥٠).

٦- "من الخِيَار الأبرار"(٥١).

٧- "كان من العلماء العبّاد"(٥٢).

٨- كان "صوّاماً قوّاماً"(٥٣) ، "من الصلحاء الأتقياء"(٥٤).

* * *

ثم كان لهذا الصحابي الأمين من الذكرى الخالدة في هذه الدنيا ؛ بعد تلك النصوص التاريخية المعرّفة به والمتحدِّثة عنه: ذلك المسجد الصغير الذي وضع زيدٌ قواعده أيام سكناه بالكوفة كي يتعبَّد لربه ويتهجَّد فيه ، وهو قريب من مسجد (السهلة) المعروف في مدينة الكوفة. ومازال مسجد زيد قائماً ماثلاً للعيان الى اليوم (٥٥)، معلناً عمق ايمان هذا المسلم العابد الزاهد ، ومؤكداً صدق ما ذكر المؤرخون فيما تقدَّم نقله ؛ من تقاه وصلاحه ؛ وتديُّنه وعبادته ؛ وصيامه وقيامه.

---

(٥٠) الاستيعاب: ١/٥٤٠ واسد الغابة: ٢/٢٣٤

(٥١) الفائق: ١/٧٨.

(٥٢) سير أعلام النبلاء: ٣/٥٢٥.

(٥٣) مرآة الجنان: ١/٩٩.

(٥٤) شذرات الذهب: ١/٤٤.

(٥٥) تاريخ الكوفة: ٥٢ ، ويراجع الهامش الآتي.

وروى المعنيُّون بشؤون الصلوات والأذكار والأدعية في كتبهم: استحباب صلاة ركعتين فيه تقرباً الى اللّه تعالى ؛ وأن يبسط المصلي يديه بعد الصلاة ويقرأ الدعاء "الذي كان يدعو به زيدُ بن صوحان في صلاة الليل ، وهو:

"إلهي ؛ قد مدَّ اليك الخاطئُ المُذنبُ يديه لحُسْن ظنّه بك ، إلهي ؛ قد جلس المُسيءُ بين يديك مُقرّاً لك بسُوء عمله ؛ وراجياً منك الصَّفح عن زلله ، إلهي ؛ قد رفع اليك الظالم كفّيه راجياً لِما لديك فلا تخيِّبه برحمتك من فضلك ، إلهي ؛ قد جَنَا العائدُ الى المعاصي بين يديك خائفاً من يوم تجثو فيه الخلائقُ بين يديك ، إلهي ؛ قد جاءك العبد الخاطئُ فَزِعاً مشفِقاً ؛ ورَفَعَ اليك طرفه حَذِراً راجياً ؛ وفاضت عبرته مستغفراً نادماً. وعِزَّتِك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتُك إذ عصيتك وأنا بك جاهل ولا لعقوبتك متعرِّض ولا بنظرك مستخف ، ولكن سوَّلتْ لي نفسي ؛ وأعانني (وأعانتني) على ذلك شقوتي ؛ وغرَّني سترك المُرخى عليَّ ، فمَنِ الآن من عذابك يستنقذني ، وبحبل مَنْ أعتصم إن قطعتَ حبلك عني. فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك اذا قيل للمُخِفّين: جُوزوا ؛ وللمُثقَلين: حطُّوا ، أفمع المخفين أجوز ؛ أم مع المثقلين أحطّ. وَيْلي كلما كبر سنّي كثرت ذنوبي ، ويلي كلما طال عمري

كثرتْ معاصيَّ ، فكم أتوب وكم أعود ، أما آن لي أن أستحيي من ربي. اللهم فبحقِّ محمد وآل محمد اغفرلي وارحمني ، ياأرحم الراحمين وخير الغافرين"(٥٦).

(٥٦) ذكر المجلسي م د زيد في بحار الأنوار: ١٠٠/٤٤٤-٤٤٥ ؛ وأورد خبر الصلاة فيه ونصَّ الدعاء الذ يقرأ بعدها مروياً عن مصباح الزائر للسيد علي رضي الدين آل طاووس المتوفى سنة ٦٦٤هـ عن كتاب المزار للشيخ محمد ابن المشهدي المعدود في علماء أواخر السادس وأوائل القرن السابع الهجري ، وقد روى المشهدي هذا الخبر عن أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحلبي في سنة ٥٧٤هـ عن والده عن جدّه عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه عن الشيخ محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن أبيه [ابراهيم بن هاشم] من رجال أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري.

وعن تلك المصادر رُويت الصلاة وألفاظ الدعاء في كتب متعددة من مؤلفات القرون المتأخرة ، ومنها: عمدة الزائر: ١٣٢-١٣٣ ومفتاح الجنات: ٢/١٠١-١٠٢.

وبعـد:

فليس لدينا ما نقوله في الختام - وقـد عرضنـا هـذه الصفحـات المشرقة مـن تـاريخ البطـل الشـهيد زيـد بـن صوحـان - الاّ أن نتلـو خاشعين متدبرين ؛ تلك الآية الكريمة الـتي بدأنـا بهـا هـذا البحـث ، وهو قوله تعالى عزَّ من قائل:

﴿من المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللّهَ عليـه ، فمنهـم مَـنْ قضى نحبَه ، ومنهم مَنْ ينتظر ، وما بدَّلوا تبديلا﴾.

وسلام اللّه الأسنى ؛ وتحياتـه الحسـنى ؛ علـى زيـدٍ يـوم وُلِـدَ ، ويوم أسلم ، ويوم حمل سيف الجهاد بيمينـه ، ويـوم اسـتقبل المـوت شهيداً في سبيل اللّه ، ويوم يُبْعَث حيّا.

المصـــادر

الأخبار الطوال/ للدينوري	القاهرة ١٩٦٠م
الاستيعاب/ لابن عبد البرّ	القاهرة ١٣٥٨هـ
اسد الغابة/ لابن الأثير	القاهرة ١٢٨٥هـ
الاصابة/ لابن حجر	القاهرة ١٣٥٨هـ
الأغاني/ لأبي الفرج الاصبهاني	القاهرة(طبعة مصوَّرة)
الأمثال/ لأبي عبيد	بيروت ١٤٠٠هـ
أنساب الأشراف/للبلاذري-الجزء الاول	القاهرة ١٩٥٩م
- الجزء الثاني	بيروت ١٣٩٤هـ
- الجزء الخامس	القدس ١٩٣٦م
بحار الأنوار/ للمجلسي - الجزء ١٠٠	طهران ١٣٨٨هـ
تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي	بيروت(طبعة مصوَّرة)
تاريخ/ خليفة بن خياط	دمشق ١٣٨٧هـ
تاريخ/ الطبري	القاهرة ١٩٦٣م
تاريخ الكوفة/ للبراقي	النجف ١٣٥٦هـ
تاريخ/ اليعقوبي	النجف ١٣٥٨هـ
الجمل/ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان	النجف ١٣٨٢هـ
جمهرة أنساب العرب/ لابن حزم	القاهرة ١٣٨٢هـ
جمهرة النسب/ للكلبي	بيروت ١٤٠٧هـ
دلائل النبوة/ للبيهقي	بيروت ١٤٠٥هـ

سير أعلام النبلاء/ للذهبي بيروت ١٤٠٦هـ
شذرات الذهب/ لابن العماد الحنبلي القاهرة ١٣٥٠هـ
شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد القاهرة ١٣٧٨هـ
طبقات/ ابن سعد ليدن ١٣٢٢هـ
طبقات/ خليفة بن خياط دمشق ١٩٦٦م
العقد الفريد/ لابن عبدربّه القاهرة ١٣٨٥هـ
عمدة الزائر/ للسيد حيدر الحسني الكاظمي بيروت ١٣٩٩هـ
غريب الحديث/ لأبي عبيد الهند ١٣٨٤هـ
الفائق/ للزمخشري - الطبعة الثانية - القاهرة (بلاتاريخ)
الفتوح/ لابن أعثم الكوفي الهند ١٣٠٨هـ
الكامل في التاريخ/ لابن الأثير القاهرة ١٣٤٨هـ
المحاسن والمساوئ/ للبيهقي القاهرة ١٣٨٠هـ
مرآة الجنان/ لليافعي الهند ١٣٣٧هـ
مروج الذهب/ للمسعودي القاهرة ١٣٥٧هـ
المعارف/ لابن قتيبة القاهرة ١٩٦٠م
مفتاح الجنّات/للسيد محسن الأمين العاملي
-الطبعة الثانية- بيروت(بلاتاريخ)
وقعة الجمل/ لمحمد بن زكريا الغلابي بغداد ١٣٩٠هـ

فهرس مطالب الكتاب

الصفحة

المقدمة ٧-٩

سيرته الذاتية ١١-١٤

نسبه ، أبوه ، اخوته ، ولادته ونشأته وذريّته ، كنيته ، سكناه الحجاز ثم الكوفة.

سيرته الجهادية ١٥-٤٣

إسلامه في العهد النبوي ، وفادته على رسول اللّه(ص) ، قول النبي(ص) فيه إنه من أهل الجنة. مشاركته في الفتوح الاسلامية بعد وفاة النبي (ص) ، قَطْعُ يدِه في بعض تلك الحروب ، سكناه الكوفة بعد تمصيرها ، قدومُه على الخليفة في وفدٍ من أهل الكوفة وتكريم الخليفة له ، انفجار الموقف بين قرّاء الكوفة ووالي عثمان ، تسييرهم الى الشام وفرض الاقامة الجبرية عليهم هناك ، عودتهم بعد حينٍ الى الكوفة ، الثورة على عثمان والزحف الى المدينة ، مقتل عثمان ، بيعة عليّ (ع) ، مبادرة زيد الى بيعته والعودة الى الكوفة ، تجمع الناكثين ، اجتماعهم في

البصرة ، المكاتبات بين أم المؤمنين وزيد ، مشاركة زيد في حرب البغاة ، شهادة زيد في تلك الحرب ، نصوص تدل على علوّ مقام زيد، مسجد زيد في منطقة الكوفة ، استحباب الصلاة فيه ، الدعاء الذي تستحب قراءته بعد الصلاة.

الخاتمة ٤٤

فهرس المصادر ٤٥-٤٦

فهرس مطالب الكتاب ٤٧-٤٨

وتوجه المسلمون في معظم أقطارهم وأمصارهم وقد خلا دست الامامة الدينية والولاية الشرعية ، نحو خليفة علي (ع) وريحانة رسول الله (ص) وأحد سيدي شباب أهل الجنة -أعني الامام الحسن (ع) -، للبيعة واعلان الطاعة والولاء .

وما ان بدأ الخليفة الجديد الجامع لاختيار السماء وانتخاب أهل الأرض عمله الحازم في ادارة الدولة وتسيير شؤون الحكم ، حتى تجمعت عناصر الفتنة والتمرد ؛ وتحركت عوامل الخيانة والخذلان، فاضطر الامام الحسن (ع) الى الصلح والموادعة مع معاوية ، في تفصيل تضيق عن عرضه هذه الصفحات[1] .

وأصبح ابن هند وأبي سفيان - وهو الطليق ابن الطليق - سيد الموقف وبطل الساحة ، يفعل مايشاء ويتصرف كما يريد ، بلا رادع يردع ولامانع يمنع .

---

(١) يراجع في ذلك كتابنا (الامام الحسن بن علي -ع-)

واضطر المؤمنون الصادقون الى الانكماش والسكوت تبعا لما اقر إمامهم في وثيقة الصلح . ولكنهم لم يبايعوا معاوية بقلوبهم ومشاعرهم . بل لم يهادنوه ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

ودخل معاوية الكوفة على اثر ذلك دخول الطغاة الفاتحين. وخطب الناس في مسجدها الجامع تلك الخطبة المعروفة التي أعلن في خلالها بواضح اللفظ وصريح الكلام قائلا :

((يا أهل الكوفة : أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؛ وقد علمت انكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم - الى آخر ما قال -))[٢].

وأدخل عليه بهذه المناسبة جماعة ((من أصحاب علي(ع) كان الحسن (ع) قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمين بأسمائهم وأسماء آبائهم وكان فيهم صعصعة. فلما دخل عليه صعصعة قال معاوية له: أما والله اني كنت لأبغض أن تدخل في أماني . قال: وأنا والله أبغض أن

---

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٦/ ١٥.

أسميك بهذا الاسم . ثم سلم عليه بالخلافة. فقال معاوية: ان كنت صادقا فاصعد المنبر فالعن عليا . فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس؛ أتيتكم من عند رجل قدم شره وأخر خيره، وانه أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله. فضج أهل المسجد بآمين))[٣].

وفي لفظ ابن عبد ربه : ان معاوية قال لصعصعة : ((اصعد المنبر فالعن عليا، فامتنع من ذلك وقال: أوتعفيني، قال: لا . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : معاشر الناس؛ ان معاوية أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله)) [٤].

ثم تسلم المغيرة بن شعبة أمر ولاية الكوفة، ففعل الأفاعيل في مطاردة شيعة علي (ع) قتلا وبطشا وارهابا وتعذيبا، ولكنه لم يعلن الحرب صراحة على زعماء قبائلها وامراء أحيائها، لانه لم يكن يضمن النتائج ولا يعلم غيب العواقب، فكان يجاملهم ما وسعه الأمر، ويعاتبهم بلافظاظة وغلظة .

---

(٣)رجال الكشي: ٦٩و مجمع الرجال: ٣/ ٢١٣.

(٤) العقد الفريد : ٢/ ٤٦٦.

وروى الطبري: ان المغيرة بلغه يوما ان صعصعة يعيب عثمان بن عفان ويكثر من ذكر علي ويفضّله . فدعاه فقال له: ((اياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند احد من الناس، واياك أن يبلغني عنك انك تُظهر شيئاً من فضل علي علانيةً، فانك لست بذاكر من فضل علي شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لانجد معه بداً، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية، فان كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين اصحابك وفي منازلكم سراً، وأما علانية في المسجد فان هذا لايحتمله الخليفة لنا ؛ ولا يعذرنا به)).

((فكان يقول له : نعم افعل)).

((ثم يبلغه انه قد عاد الى ما نهاه عنه))[٥]

وهكذا كتب على صعصعة أن يُمضي ما تبقى من أيام حياته في ظل حكم معاوية والمغيرة بن شعبة، وكان مجاهرا بولائه لعلي بن ابي طالب(ع) وعدائه للخليفة

---

(٥) تاريخ الطبري : ٥/ ١٨٩ وكامل ابن الاثير : ٣/ ٢١٤.

المتسلط على رقاب المسلمين [٦].

ويستفاد من النصوص التاريخية ان صعصعة قد تكرر ذهابه الى الشام خلال أيام سلطان معاوية، وكان من أسباب بعض تلك الرحلات مشاركته في وفد اهل العراق، ومنها ماكان باستدعاء من السلطة- ومعه آخرون- لسجنهم هناك، ومنها ما كان لأسباب اخرى لم نقف على تفاصيلها . ويبدو ان صعصعة كان يطيل المقام في دمشق في بعض تلك الأسفار؛ وانه كان يتردد على مجلس الخليفة، وربما يتبسط معاوية معه في ألوان من الحديث. ونروي فيما يأتي شواهد على ذلك كله مما ورد في مصادر التاريخ والأدب:

١- دخل صعصعة على معاوية ((في وفد أهل العراق، فقال معاوية: مرحباً بكم ياأهل العراق، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر واليها المحشر ، قدمتم على خير أمير يبرُّ كبيركم ويرحم صغيركم، ولوان الناس كلهم ولدُ أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء)).

((فأشار الناس الى صعصعة فقام فحمد الله وصلى على

(٦) شرح نهج البلاغة : ١٦/ ١٣٠.

النبي (ص) ثم قال : أما قولك يا معاوية انا قدمنا الأرض المقدسة، فلعمري ما الأرض تقدّس الناس ، ولايقدس الناس الاأعمالهم. واماقولك :منها المنشر واليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها كافراً ولا يضرُّ بعدها مؤمنا. وأما قولك: لوان الناس كلهم ولدُ أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء؛ فقد ولدهم خير من أبي سفيان آدمُ – صلوات الله عليه–؛ فمنهم الحليم والسفيه والجاهل والعالم))[٧] .

٢ – ((حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله بن الكواء اليشكري ورجالاًمن أصحاب علي مع رجال من قريش. فدخل عليهم معاوية يوماً فقال:

((نشدتكم بالله الاماقلتم حقاً وصدقاً: أي الخلفاء رأيتموني؟)).

فتكلم ابن الكواء. ((ثم تكلم صعصعة فقال:

((تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ، ولم تقصر عما أردت ، وليس الأمر على ما ذكرت. أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى باسباب الباطل

(٧) العقد الفريد : ٣/ ٣٦٦–٣٦٧ ولباب الاداب: ٣٥٠–٣٥١.

كذبـــا ومكرا !!أما والله مالك في يوم بـــدر مضرب ولامرمى.. ولقد كنت أنت وأبـوك في العير والنفير ممن اجلب على رسول الله (ص) ، وانما أنت طليق ابـن طليق أطلقـــكما رســـول الله (ص) فانى تصلح الخلافة لطليق؟!!))[٨].

٣- قال معاوية يوماً لصعصعة: ((يا ابن صوحان؛ أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها فأخبرني عن اهل البصرة))ثم سأله عن أهل الكوفة وأهل الحجاز وأهل الشام. وصعصعة يجيبه بكل صراحة وبما يغضب بعضه معاوية ، ((فقـال معاوية:والله يابن صوحان ؛ انك لحامل مُدَيتك منذ أزمان. الا ان حلم أبي سفيان يرد عنك . فقال صعصعة : بـل أمر الله وقدرته، ان أمر الله كان قدرا مقدورا))[٩].

٤- ((دخل صعصعة بن صوحـان على معاوية ؛ ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره ، فقال : وسَعْ له على ترابيّة فيه. فقال صعصعة : اني والله لترابي. منه خلقـت واليه أعود ومنه أبعث ، وانك لمارج من نار))[١٠].

---

(٨) مروج الذهب : ٢/ ٣٤٠- ٣٤١.

(٩) مروج الذهب : ٢/ ٣٤١-٣٤٢.

(١٠) العقد الفريد : ٤/ ٣٦٦.

٥- قـــال معاوية يوما لصعصعة : ((انما أنت هاتف بلسانك لاتنظر في أود (أرز) الكلام ولا في استقامته، فان كنت تنظر في ذلك فأخبرني عن أفضل المال . فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ اني لأدع الكلام حتى يختمر في صدري، فما أرهف به ولا أتلهق فيه حتى أقيم أوده واحرز متنه ، وان أفضل المال لُبَرة سمراء في تربـــة غبـــراء؛ أو نعجة صفراء في روضة خضراء؛ أو عين خـــرارة فـــي أرض خوارة. قـــال معاوية: لله أنت فأين الذهب والفضة؟ قـــال: حجران يصطكان ؛ ان أقبلت عليهما نفدا، وان تركتهما لم يزيدا)) [١١].

٦- ((تكلم صعصعة بن صوحـــان عند معاوية فعرق ، فقال معاوية: بهرك القـــول. فقـــال صعصعة : ان الجياد نضاحة بالماء (أو: بالعرق))) [١٢].

* * *

وفي سنة ٤٣هـــ بلغ المغيرة والي الكوفة ان الخوارج

(١١) العقد الفريد : ٣/ ٣٢. ومختصر منه في غريب الخطابي: ٢/ ٥٢١ والفائق : ١/ ١٩٧.

(١٢) البـــيان والتبـــيين : ١/ ١٢٤ وعيون الأخبـــار :٢/ ١٧٣ وغريب الخطابي: ٢/ ١٣١ والعقد الفريد: ٢/ ٢٧١.

قد تجمعوا في الحيرة وأطرافها بزعامة المستورد بن علقة التيمي في منازل معروفة فيها. فجمع رؤساء البلد وأعلمهم بما بلغه، وتوعدهم طالبا منهم الحذر واليقظة وتنبيه الناس على عدم فسح المجال لهؤلاء بالتجمع في أحيائهم ومنازلهم . وكان من جملة اولئك الرؤساء صعصعة بن صوحان وهو ((رأس عبد القيس)) في الكوفة.

وخرج صعصعة من مجلس الوالي فبحث في جلية الامر، فجاءه الخبر ان عدداً من هؤلاء الخوارج يتجمعون بمنزل سليم بن مجدوح - وهو من أبناء قبيلته -؛ فجمع عبدَ القيس وقام فيهم خطيباً فقال:

((يا معشر عباد الله؛ ان الله- وله الحمد كثيرا - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم. فأجبتم الى دين الله الذي اختاره الله لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله (ص). ثم اختلف الناس بعده... فلزمتم دين الله ايمانا به وبرسوله....فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء وعلى كل حال ، حتى اختلفت الامة بينها. فقالت طائفة :

نريد طلحة والزبير وعائشة. وقالت طائفة : نريد أهل المغرب. وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسبي - راسب الأزد - . وقلتم أنتم : لانريد الا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة. تسديدا من الله لكم وتوفيقا . فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به. حتى اهلك الله بكم وبمن كان على مثل هداكم ورأيكم : الناكثين يوم الجمل؛ والمارقين يوم النهر - وسكت عن ذكر أهل الشام لان السلطان كان حينئذ سلطانهم -)).

((ولاقوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر . فاياكم أن تؤوهم في دوركم أوتكتموا عليهم . فانه ليس ينبغي لحيَ من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم. وقد - والله - ذكرلي ان بعضهم في جانب من الحي. وأنا باحث عن ذلك وسائل ؛ فان كان حكي لي ذلك حقا تقربت الى الله تعالى بدمائهم. فان دماءهم حلال... ثم تنحى فجلس))[١٣].

* * *

(١٣) تاريخ الطبري: ٥/ ١٨٤-١٨٦ وكامل ابن الأثير : ٣/ ٢١٢-٢١٣.

ويبدو من سياق الأحداث في تلك السنوات العجاف الحافلة بالمآسي و الكوارث أن معاوية وجلوازه المغيرة حاكم الكوفة قد ضاقا ذرعا بصعصعة . ولم يستطيعا الصبر على ما كان يبلغهما من تصرفاته ومواقفه وتصريحاته؛ وفيها ما فيها من صراحة في معارضة السلطة القائمة وخروج على مجمل توجهاتها الفكرية والسياسية، فأمر المغيرة بنفيه- في رواية الحافظ ابن حجر - ((بأمر معاوية من الكوفة الى الجزيرة أو الى البحرين . وقيل : الى جزيرة ابن كاوان فمات بها)) [١٤] وكانت وفاته خلال ايام سلطان معاوية [١٥].

* * *

(١٤) الاصابة: ٣/ ١٩٢ ، وسميت الجزيرة فيها: جزيرة ابن كافان. ولعله خطأ مطبعي. والتصويب من معجم البلدان: ٣/ ١٠٣ ، وقال ياقوت: ((جزيرة كاوان- ويقال جزيرة بني كاوان : جزيرة عظيمة....من بحر فارس بين عمان والبحرين ... وكانت من أجل جزائر البحر عامرة أهلة. وقال هشام بن محمد: كاوان اسمه الحارث بن امرئ القيس بن حجر بن عامر ابن مالك بن زياد بن عصر بن عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو ابن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس)).

(١٥) طبقات ابن سعد : ٦/ ١٥٤ واسد الغابة : ٣/ ٢٠ وسير أعلام النبلاء : ٣/ ٥٢٩ والاصابة: ٢/ ١٩٢ وتهذيب التهذيب : ٤/ ٤٣٢.

وهكذا ذهب صعصعة الى جوار ربه صادق الايمان ثابت اليقين، وبقي ذكره خالدا مضمخا بصلابة الاعتقاد وأرج العبقرية . كما بقيت خالدة ماثلة حتى اليوم احدى ذكريات هذا العبد الصالح- ناطقة بشدة زهده وورعه ومعبّرة عن مدى حبه لله وقربه اليه- . وأعني بذلك مسجده القائم في مدينة الكوفة . في الجانب الشرقي من مسجد السهلة ، وتقدّر مساحته بـ (٧٥) متراً مربعاً، وقد ورد استحباب الصلاة والدعاء فيه . [١٦] .

(١٦) المزار الكبير للمشهدي: ١٤٣-١٤٦والاقبال : ٣/ ٢١٢-٢١٣ وبحار الأنوار : ١٠٠/ ٤٤٦-٤٤٨ وتاريخ الكوفة : ٤٦-٤٧.

وبعد :

فليس لدينا ما نقـوله في الختام – وقـــد عرضنا هذه الصفحات المشرقة من تاريخ الصحابي المناضل المغوار صعصعة بن صوحان – الا أن نتلو خاشعين متدبرين؛ تلك الآية الكريمة التي بدأنا بها هذا البحث، وهو قـــوله تعالى عز من قائل:

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم مَنْ قضى نحبَه ، ومنهم مَنْ ينتظر ، وما بدلوا تبديلا).

وسلام الله الأسنى وتحياته الحسنى : على صعصعة يوم ولد ، ويوم أسلم، ويوم حمل سيف الجهاد بـــيمينه وناضل في سبيل الله والحق بيده ولسانه ، ويوم يبعث حيا.

فهرس المصادر

الاستيعاب / لابن عبد البر القرطبي - هامش الاصابة -	القاهرة ١٣٥٨ هـ
اسد الغابة / لابن الأثير	القاهرة ١٢٨٥ هـ
الاشتقاق / لابن دريد	القاهرة ١٣٧٨ هـ
الاصابة / لابن حجر العسقلاني	القاهرة ١٣٥٨ هـ
الاقبال / لعلي رضي الدين آل طاووس	قم /ايران ١٤١٨هـ
أنساب الأشراف /للبلاذري ج٢	بيروت ١٣٩٧ هـ
أنساب الاشراف ج ٥	القدس ١٩٣٦ م
بحار الأنوار / للمجلسي ج ٤٢	طهران ١٣٨٣ هـ
بحار الانوار ج ١٠٠	طهران ١٣٨٨هـ
البيان و التبيين / للجاحظ	القاهرة ١٣٥١ هـ
تاريخ / خليفة بن خياط	دمشق ١٩٦٨ م
تاريخ / الطبري	القاهرة ١٩٦٠ م
تاريخ الكوفة / للبراقي	النجف ١٣٥٦ هـ
تجريد أسماء الصحابة / للذهبي	الهند ١٣٨٩ هـ
تذكرة الخواص / لسبط ابن الجوزي	النجف ١٣٦٩ هـ
تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني	الهند ١٣٢٥ هـ
تهذيب اللغة / للأزهري	القاهرة ١٣٨٤ هـ
الجمل / للمفيد محمد بن محمد بن النعمان	بيروت ١٤١٤ هـ
جمهرة أنساب العرب / لابن حزم	القاهرة ١٣٨٢ هـ
جمهرة النسب / للكلبي	بيروت ١٤٠٧ هـ

ربيع الأبرار / للزمخشري	بغداد ١٤٠٠ هـ
رجال / الكشي	مشهد ١٣٨٩هـ
رجال / النجاشي	الهند ١٣١٧هـ
سفينة البحار / لعباس القمي	طهران ١٤١٦هـ
سير أعلام النبلاء / للذهبي	بيروت ١٤٠٦ هـ
شرح نهج البلاغة / لابن أبي الحديد	القاهرة ١٣٧٨ هـ
صبح الأعشى / للقلقشندي	القاهرة (طبعة مصورة)
طبقات / ابن سعد	ليدن ١٣٢٢ هـ
طبقات / خليفة بن خياط	دمشق ١٩٦٦م
العقد الفريد/ لابن عبد ربه الأندلسي	القاهرة ١٣٧٥ هـ
عيون الأخبار / لابن قتيبة	القاهرة (طبعة مصورة)
الغارات / لأبي اسحاق الثقفي	طهران ١٣٩٥ هـ
غريب الحديث / لابن الجوزي	بيروت ١٤٠٥ هـ
غريب الحديث / لأبي عبيد	بيروت ١٤٠٦ هـ
غريب/ الحديث / للخطابي	دمشق ١٤٠٢هـ
الفائق / للزمخشري – الطبعة الثانية	القاهرة (بلا تاريخ)
الفتوح / لابن أعثم الكوفي ج٢	الهند ١٣٨٩ هـ
الفهرست / لابن النديم	طهران ١٣٩١ هـ
الكامل في التاريخ / لابن الأثير	القاهرة ١٣٤٨ هـ
الكامل / للمبرد – طبعة نهضة مصر	القاهرة (بلا تاريخ)
اللباب / لابن الأثير	القاهرة ١٣٥٧ هـ

لسان العرب/ لابن منظور	بيروت ١٣٧٤ هـ
مجمع الرجال/ للقهبائي	ايران ١٣٨٤ هـ
مروج الذهب / للمسعودي	القاهرة ١٣٥٧ هـ
المزار الكبير / للمشهدي	قم ١٤١٩ هـ
المعارف / لابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٠ م
معجم البلدان / لياقوت	القاهرة ١٣٢٣ هـ
المناقب / لابن شهر اشوب السروي	طهران ١٣١٧ هـ
نثر الدر / للابي ج٢ و ٣	القاهرة ١٩٨١ - ١٩٨٢ م
وقعة صفين / لنصر بن مزاحم	القاهرة ١٣٨٢ هـ

فهرس مطالب الكتاب

الصفحة

المقدمة ٧

سيرته الذاتية ..... ١١ - ١٣

نسبه ، أبوه ، كناه ، اخواه الشهيدان ، ابنه ، ولادته، نشأته.

سيرته الجهادية ..... ١٤ - ٠

اسلامه ، مواهبه وملكاته ، كان احد خطباء العرب المعدودين، كان ثقة في الحديث ، ثناء عقيل بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الملك بن مروان عليه، مقامه عند رجال الدولة، سكناه الكوفة، حضوره تجهيز جنازة الصحابي الطاهر ابي ذر الغفاري، رده على والي الكوفة واشتداد الخصومة بين الطرفين، فرض الاقامة الجبرية عليه وعلى لفيف من رفاقه بامر عثمان في دمشق، محاوراته العنيفة مع معاوية، عودة المنفيين الى الكوفة، عدم كفهم عن المجاهرة بمظالم السلطة، نفيهم بأمر الخليفة ايضا الى حمص، عودتهم من منفاهم، مسير صعصعة وبعض رجالات الكوفة الى المدينة للانكار على عثمان، ضيق صدر الخليفة من صعصعة، تجمع وفود الثوار من جميع الامصار في المدينة للانكار على الخليفة، تفاقم الاحداث هناك، مقتل عثمان (ص ١٤ - ٢٩).

بيعة علي (ع) بالخلافة، مبادرة صعصعة الى البيعة، حب صعصعة لامير المؤمنين وحب عليّ اياه، تحرك الضغائن لاشعال نار البغي والتمرد، حرب الجمل ومواقف صعصعة في الاعداد لها، مساهمته في المعركة وحمله راية قومه خلالها. موقفه من محاربة معاوية، ذهابه الى الشام حاملاً رسالة علي (ع)، رفض معاوية الدخول فيما دخل فيه المسلمون، محاورات معاوية وصعصعة في هذا الشأن، بدء حرب صفين، مواقف صعصعة فيها، حمله راية قومه وجهاده بيده ولسانه، انتهاء الحرب وعودته الى الكوفة. مشاركته في حرب الخوارج، حواره معهم وتراجع بعضهم واصرار بعض على المروق، جهاده فيها حتى النهاية بهزيمة اولئك المارقين (ص ٣٠ - ٤٦).

مقتل علي (ع)، مراثي صعصعة لامامه الشهيد، بيعة الحسن (ع)، الملابسات السيئة وما اسفرت عنه من الصلح، مواقف صعصعة من معاوية ومن واليه على الكوفة، محاورات بين صعصعة ومعاوية، برم السلطة بصعصعة ونفيه من الكوفة حتى وفاته في منفاه. مسجد صعصعة الماثل حتى اليوم في الكوفة (ص ٤٦ - ٦٠)

الخاتمة ٦١

فهرس المصادر ..... ٦٢ - ٦٤

فهرس مطالب الكتاب ..... ٦٦ - ٦٧

صدر من هذه السلسلة :

١ – حمزة بن عبد المطلب .
٢ – مصعب بن عمير
٣ – سعد بن الربيع.
٤ – سعد بن معاذ .
٥ – زيد بن حارثة .
٦ – جعفر بن أبي طالب.
٧ – عبد الله بن رواحة .
٨ – سعد بن عبادة .
٩ – الحباب بن المنذر .
١٠ – عبادة بن الصامت .
١١ – سلمان الخير.
١٢ – أبو ذر الغفاري .
١٣ – المقداد بن عمرو.
١٤ – حذيفة بن اليمان
١٥ – زيد بن صوحان.
١٦ – خزيمة بن ثابت.
١٧ – أبو الهيثم ابن التيهان .
١٨ – عبد الله بن بديل
١٩ – هاشم بن عتبة (المرقال).
٢٠ – عمار بن ياسر .
٢١ – محمد بن أبي بكر.
٢٢ – مالك بن الحارث الأشتر
٢٣ – سهل بن حنيف
٢٤ – صعصعة بن صوحان

الكتاب الآتي:
٢٥ – عمرو بن الحمق الخزاعي